

# رحلات خليل حاوي السلافة

بمخبر خليل سليمان كلفت

ودم يسود في الجروح  
وإذا كان الصراع القائم في كل هذه  
القضايا بين لحنين رئيسيين هما الحياء  
والإنسان على إطلاقهما أو على شروطهما  
العربية ، فهو صراع بين ارض خراب تتمنى  
لو انسحبت من أقدام الأحياء وبين إنسان  
« جحيمة في دمه » لا يملك منه فرارا وتأتي  
الصرخة الالهية :

وكيف أصبحنا عدوين  
وجسم واحد يضمنا ، نفاق  
انه عالم قوانينه اليأس والعجز والشلل  
التام  
والقصيدة الثامنة في ديوان « نهر الرماد »  
في ( جوف الحوت ) تستمر في معاناة الموت:  
وانا في الكهف محموم ضريب  
يتمطي الموت في اعضائه ،  
عضوا فعضوا ، ويموت  
كل ما عرفه اني اموت  
مضفة تافهة في جوف حوت  
لا وجود هنا لامكانيات الخروج من جوف  
الحوت ، فكل الاحلام ميتة :  
وعرفت الحلم والايمن والحب القريب  
نبض قلبين ، وزند لين ،  
وصدى يهيمه دفء الحرير ،  
صليب ورع فوق السرير  
وخيال يتحدى  
عظمة الجهول والسر الكبير  
تموت كل هذه الاحلام العظيمة المشرقة  
في جو جحيمي السعير :  
في مده لا غد يشرق ،  
لا امس يفوت  
غير آن ناء كالصخر على دنيا تموت

ويفغر الحوت فاه ثانية وبتلمه سجيننا  
في القصيدة التاسعة « السجين » وهي صراع  
بين ماض يسبح في ضوء الشمس وضحكات  
الصفار وبين حاضر تمتصه عتمة السجن  
ويأكل جفنيه الفبار وتنحل اشلاؤه رمة ،  
طينا ، عظاما بعثرتها أرجل الفيران ، ويرد  
اليأس باب السجن في وجه النهار .  
وتبلغ الرؤى السوداء نهايتها المحتومة في  
القصيدة العاشرة « سدوم » :  
وإذا نحن عواميد من الملح ،  
مسوخ من بلاهات السنين  
ويجرف السيل الجحيمي كل شيء .

وهو يرى في قصيدة ( دعوى قديمة ) حياته ،  
وحياة فومه ، في صورة بشعة :  
حلوته الحي  
تري من مط نديبها الى البطين  
والوى انفها منقار بومه ؟

وعندما يقارن الحال بالامس ، يقارن بومه  
اليوم البشعة بموضعة الامس الرحيمة :  
حضنها كهف من الصفصاف  
ريان الظلال  
يطلق صيحته القويه :

كيف لا يدوي ويحتج الصدى  
يدوي جريحة ؟؟  
وفي فصائد « نكش اسكارى » و « جحيم  
بارد » وربما « بلا عنوان » و « الجروح  
السود » نلتقي بزوجة « لعازر عام ١٩٦٢ »  
يوجه اليها سهامه المرة في الاولى :  
ولماذا انت ما زلت  
تفنين العذارى  
وصبايات العذارى ،  
وصفاء الظل والينبوع في « صنين » ،  
والام التي ترحم ، والاهل الفياري  
انت يا موطوءة النهدين  
يا نكش السكارى !  
وتفنين ، كان الظل في عينيك  
ما مات ، ولا الينبوع غارا ،  
وكان العاصف العاتي  
سيرثي لبغي بعد حين تتوارى  
بعد ان تمتصها الحانات  
ترميها الى الشارع تفلأ وغبارا ...

ونلتقي بها في الثانية ، وهي نعاني الخيبة  
واليأس وتحدث باخبار زوجها الذي صرعه  
الرؤى السوداء وخلفته « باردا مرا مقيت »  
و « ليت هذا البارد المشلول - يحيا او  
يموت » ، وتقول له في نهاية الثالثة :  
ابتعد ، كفاك من صخر  
وفي عينيك اعياد ذليلة  
وفي الرابعة يمشي الزوج وراء جنازتها  
البشعة :  
امراة تخفي بكف عينها  
المزقة الرهيبة  
ثم :  
خليتها تروح ،  
جنازة خرساء لا تنوح ،  
حمى جروح

خليل حاوي واحد من رواد الشعر الحر  
الذين خلقوا في الادب العربي الحديث شعرا  
يجد مكانه بين الانتاج الشعري في عصرنا في  
كل مكان . وفي هذا المقال الذي ليس هو  
دراسة لشعره وليس نقدا له وانما عرض  
يحمل انطباعات قارىء محب لهذا الشعر ،  
ارجو ان اوفق في تتبع رؤياه الشعرية في  
رحلات « نهر الرماد » و « الناي والريح »  
و « بيادر الجوع » .

وابدا بالكلام على ديوان « نهر الرماد »  
الذي يضم بين دفتيه خمس عشرة قصيدة  
نظمت بين عامي ١٩٥٢ ، ١٩٥٧ ، عام ١٩٦١ .  
وفي اولى قصائد الديوان : « البحار  
والدرويش » نلتقي بالسندباد الذي لا يسميه  
الشاعر باسمه ، فهذا البحار يقوم برحلة  
الى الشرق باحثا عن المجهول ، وبعد ان عانى  
دوار البحر ، وافلت من اشداق الكهوف  
رتمته الريح للشرق الصتيق والتقى بذلك  
الدرويش الغائب عن حسه ، والذي رث  
وتفنن ، ونمت الطفيليات في جلده ، فيحاوره  
بحارنا طالبا منه ان يخبره بكنوزه المجهولة ،  
فيحدثه هذا عن الفيض الذي لا يفوق منسه  
ويلقي عليه رؤياه الغاضبة على حضارة الشاطيء  
الغربي ، التي هي بثور ورماد مسن نفايات  
الزمان ، وتبتر التجربة برفض البحار الذي  
مات الضوء في عينيه :

خلني للبحر ، للريح ، لموت  
ينشر الاكفان زرقا للفرق ،  
مبحر ماتت بعينه منارات الطريق  
مات ذاك الضوء في عينيه ولا ذل الصلاه  
ولكن هذه القصيدة البتراء ، تحمل بذور  
المسائل التي سوف تستغرق شعر خليل  
حاوي كله .

من هذه الرؤيا المشائمة يخرج الشاعر  
يعدد اسباب يأسه ويقيم الادلة والبراهين  
التي تدن عالمه العربي الدامي . ففي قصيدة  
( ليالي بيروت ) معاناة حياة بلغت تفسخا لا  
حد له :

وغريفا ميتا اطفو على دوامة  
حري وبعميني الدوار  
ويخيم على القصيدة ظل الاستسلام التام  
لمروحة النوم الرحيمة بل سم الانتحار :  
في هنيهات يهون الكفر فيها  
وتستمر البثور في التضخم والانتشار ،

الشاعر الذي طلب الخلاص في قصيدة  
 « ليالي بيروت » من مروحة أنوم الرحيمة  
 وسم الانتحار ينفض عن اليأس في قصيدة  
 « بعد الجليد » ويخاطب تموز :  
 انت يا تموز ، يا شمس الحصيد  
 نجنا ، نج عروق الارض  
 من عقم دهاها ودهانا ،  
 عله يفرخ من انقاضنا نسل جديد -  
 اما تنفض عنها عن التاريخ .  
 واللعة ، والغيب الحزينا  
 تنفض الامسى الذي حجر  
 عينها يوافينا بلا ضوء ونار ،  
 وبحيرات من الملح الجوار ،  
 تنفض الامسى الحزينا



### خايل حاوي



« الجسر » وهي الاخيرة في الديوان تتطلع  
 الى خروج فرخ النسر من نسل العبيد ، والى  
 بيت جديد حر ، والى النسل العظيم يشيده:  
 يعبرون الجسر في الصباح خفافا  
 اضلعي امتدت لهم جسرا وطيد  
 من كهوف الشرق ، من مستنقع الشرق  
 الى الشرق الجديد  
 اضلعي امتدت لهم جسرا وطيد  
 وعندما نعبر الجسر نكون في البيت  
 الجديد ، ذلك البيت الذي :  
 ( يزهو باعمدة الحياه -  
 يزهو بغابات من المدن الصبايا -  
 لين ارضفة وجاه -

ايصح عبر البحر تفسخ المياه ؟ )

وبعد ان نفضنا ياس ذلك الانسان الذي  
 ( لا يعرف الا انه يموت ) ، ندخل ديوان  
 « الناي والريح » لنعاني خروج الشرق الجديد  
 من كهوف الشرق من مستنقع الشرق العتيق .  
 بالقصيدة الاولى « عند البصارة » نخرج  
 تماما من معاناة الموت الى معاناة التغير ، ويقوم  
 الصراع بين بومة التاريخ « البصارة » التي  
 تسوق الى الشاعر رؤياها الفاجعة وبين انسان  
 نفص عن التاريخ وراى الطريق . وهذا هو  
 الشاعر يلجا الى الغيب الحزين ليصرف  
 مصيره الذي تعلق بما يرسم اصبع البصارة  
 المقوس العتيق ويحل الجن فسي البصارة  
 وتنجلى طرق الغيب الملعونة تسخر من هذا  
 الذي يريد ان يعرف ماذا في غد يكون :

اراك تستحيل

لشجرة مسمومة ، ثم لتمساح عتيق

اراك تستحيل

لساحر يموه الاشياء في العيون

مهرج حزين

في مسرح العجور .

وينكر الشاعر هذه النبوءة « نبوءة نسل

العبيد » الكئيبة التي لا ترى ما يراه هو :

الا ترى ملء وريدي خمرة الشمس

عروقي شجرة البهار

دمي يحيل العفن الجاري

ثريات من العافية الخضراء والثمار

ويجب الجن :

لست ارى

فيرد عليه بقوة :

اني ارى الطريق

من اخرس الاصداء والبروق

من احرق العنمة والظنون

كانها من قبل ما كانت ولن تكون

ويرفض الرؤيا ويسخر منها :

اصحك من بصارة الحي

وما لفق جن ساخر لعين

وفي مزيج من الخوف من مصير اسود ،  
 والثقة ببعث عظيم ، ندخل قصيدة « الناي  
 والريح » لنلتقي ثانية بناسك ضفاف (كام)  
 لنعاني معه صراع الناي المقعد الكسيح  
 والريح الفضوب التي تقتلع الاشجار المسمومة  
 وتذرو الاثمار المغنة وتحملنا في طريق البعث .  
 ولما كان الشاعر قد قال من قبل ( وجحيمي  
 في دمي ) فانه يتأمل الان دمه وما يحتوي من  
 غازات مسمومة وسيجات عتيقة وعفن وتنت  
 نلتقي به في صومعة ( كيمبرج ) يعساني  
 الخروج ، ينطلق عليه باب الصومعة ، فنراه  
 حبيسا بين كوم من الورق العتيق بهم  
 يعورها الى الباب ثم الى الطريق ولا يستطيع ،  
 وبصطرع في داخله الحان الناي الحزين  
 من ناسك مخنول يصبق رثته على لقب  
 وكوسي ، ويناشد سجانته بان يعريه من هذه  
 المسوح العتيقة :

لن يستحيل دمي الى مصل

كذبت ، كذبت ،

جروني الى الساحات ، عروني

اسلخوا غني شعار الجامعة

ومن اب وام ، ينتظرانه في صبر ، ومن :

تلك التي يبست على اسي

ومعى دماها شجي

وما احتفلت بلذات الدماء

انه يريد ان ينطلق من هذه الالحان الحزينة

ويتظهر استعدادا للبعث مع الريح الفضوب ،

فينطلق في درب البدوية السمراء :

واحات المعجن البكر ،

والفجوات اودية الهجير -

تنفض عن جدائلها حكايات الرمال

وتتظهر مما علاها من صدا ، فها هي الريح

تمسح ما تحجر من سياجات عتيقة في الدروب

وفي العقول :

ماذا سوى عقدا لقياب البيض

بيتنا واحدا يزهو باعمدة الحياه

يزهو بغابات من المدن الصبايا

لين ارضفة وجاه

ايصح عبر البحر تفسخ المياه ؟

وهكذا تتظهر حلوة الحي التي مط الزمن

الضنك ثديها والوى انفها منقار بومة، تلك

المرأة التي كانت تخفي بكف عينها المزرقة

الرهيبه - لتخرج من الرماد عروسا مزهوة

بجيدتها الطويل وجبهتها العالية ، ولكننا  
ترك الشاعر في نهاية القصيدة ذاهلا :  
الجن بعد الحين تعبر جهتي  
صور وتنتب في الطريق  
صور يشوهها الدوار  
امي ، ابي ، تلك التي  
تحيا تموت على انتظار  
الناسك المخنول في رأسي  
يشد قواه يهزني ، افيق :  
يبني وبين الباب  
صحراء من الورق العتيق وخلفها  
واد من الورق العتيق وخلفها  
عمر من الورق العتيق

ينتظر ان تعصف في مدى شفته العبارة  
ليقول بشارته بظفرة تحس ما في رحم الفصل  
نراه قبل ان يولد في الفصول .

ولكن بيننا وبين البشارة فصولا لم تم ،  
نقوم فيها الكيمياء بطقوسها لتظهر هذا  
الانسان الذي لم يكن يعرف الا انه يموت ،  
والذي يحلم الان بريح البعث .

وفي قصيدة « وجوه السندباد » معاناة  
الميلاد بما نتحم من رعب وخوف والقصيدة  
تكون من تسعة ارقام ترمز الى شهور الحمل  
التسعة ، ويحكي لنا الشاعر اخبار السندباد  
الذي عاد من رحلته وقد جارت عليه دمفة  
العمر السفيه فوضعت على وجه ذلك الصبي  
ذي الوجه الاسمر الطري اندي غص بالدمعة  
في مقهى المطار فناعا يحمل ما زور العمر  
وحفر ، بينا ترى حلوته تظل طفلة الامس  
واصفر ، تنتظر ، ليبتدئ فيها الخصب لتخضر  
انقاص حياتها في اعضاء طفل :

عمره منك ومني  
دما في دقة يسترجع  
الخصب الفني

وفي هذه القصيدة الحزينة يموت بعضنا  
ونحتفل بطقوس دفنه ( ولماذا - نعجن الوهم  
ونظي الجمجمة ؟ ) ويكاد ظل الموت يخيم  
باعثا في القلوب رعبا مهولا ( ربما عادت الى  
عنصرها الاشياء - وانحلت ضباب ) ولكن  
البعث ينتصر ومن الصور التي تهوى لقاع  
لا قرار تخرج صورة جنين مكتمل الاعضاء  
يريد ان ينطلق ( ليعبر الجسر من كهوف  
الشرق ، من مستنقع الشرق ، السى الشرق  
الجديد ) .

ان هذا الجنين المكتمل الاعضاء ، هذا  
الوجه الاسمر الطري ، يقوم برحلة ليست  
مراحلته السابقة تلك الروايات عن الفول  
عن الشيطان والمفارة والحيل التي تعيا لها  
المهارة - ان رحلته الجديدة هي رحلة حساب  
ختامي يرينا المركز المائي للشاعر الذي ضيع  
راس المال والتجارة وعاد الينا شاعرا في فمه  
بشارة وفي قصيدة « السندباد » في رحلته

الثامنة « نبحر مع الشاعر في بحار اقسامها  
العشر يحمل داره معه ويهم بان يفرغها مما  
حملت من امتعة عتيقة ومفاهيم رثة - كما  
يقول في تقديمه للقصيدة - وندخل الدار  
نتأمل ما في احد اروقته : هذا موسى يحفر  
في الصخر وصايا ربه العشر ( الزفت  
والكبريت والملح على سدوم ) وهذا كاهن من  
هيكل البعل - يربي افمونا فاجرا وبوم -  
يفتنس سر الخصب في العذارى - يهلل  
السكارى ) و ( هذا المعري - خلف عينيه وفي  
دهليزه السحيق - دنياه كيد امرأة لسم  
تقتسل - من دمها ، يشتم ساقها وما يطبق  
- شطي خليج الدنس المطلق بالرحيق ) ومن  
رسوم هذا الرواق ( يرشح سيل مثقل بالفاز  
والسموم ) هو دمنا المحتقن الملقوم فسي  
العروق ) ويتظهر الشاعر من صدق هذه  
الاشباح اللعينة ويمضي في ابحاره الى ان  
يلغ شاطئاً من جزر الصقيع وهنا يرى  
( رؤيا ما اهدت للفظ ) :

لن ادعي ان ملاك الرب  
التي خمره بكرى وجرم اخفرا  
في جسدي المفلول بالصقيع  
صفي عروق من دم  
محتقن بالفاز والسموم  
عن لوح صدري مسح  
الدمقات والرسوم ،  
صحو عميق موجه ارجوحة النجوم

وينتظر الشاعر وحده ذلك الشيء الذي  
يحسه ولا يعيه . وفي القسمين الخامس  
والسادس من القصيدة يعاني الشاعر آخر  
انظار : ان ذلك الشيء الذي يحسه عنده  
ولا يعيه هو حلوة الحي تقترب خطاها  
الجريئة ( تفتق المرجان والمرج ) ويحتفل بها  
ايما احتفال :

كانها في الصبح  
شقت من ضلوعي  
نبئت من زنبق البحار  
وفي القسم الثامن تأنيه الرؤيا :  
بسر جفاف فورت ،  
وفورت من عتمتي مناره  
اعين الرؤيا التي نصرعني حيناً ،  
فايكي ،  
كيف لا اقوى على البشارة ؟  
شهران ، طال الصمت ،  
جفت شفتي ،  
متى متى تستعفي العبارة ؟

ان ذلك الشيء يقترب والرؤيا تفنى فسي  
دمه برعشة البرق وصحو الصباح :  
وسوف تأتي ساعة ،  
اقول ما اقول .  
وفي القسم التاسع تشرق الرؤيا (البشارة):  
تحتل عيني مروج ، مدخات

واله بعضه بعل خصيب  
بعضه جبار فحم ونار ،  
مليون دار مثل داري ودار ،  
تزهو باطفال غصون الكرم  
والزيتون ، جمر الربيع  
غيب ليالي الصقيع  
يحتل عيني رواق شمخت  
اضلاعه وانمقدت عقد  
زئود تبنتيه ، بنيتي اللحمة  
ومن غنى تربتنا نستنتب  
البور والرخام

وهكذا عانى الشاعر (الموت في حب الحياة)  
وقد فال من قبل في قصيدة ( بعد الجليل ) :  
ان يكن ، رياه ،  
لا يحيي عروق الميتينا  
غير نار تكد العنقاء ، نار  
تتفنى من رماد الموت فينا ،  
في القرار ،  
فلنعان من جحيم النار  
ما يمنحنا البعث اليقينا  
وفي قصيدة ( عودة الى سدوم ) :  
عدت بالنار التي من اجلها  
عرضت صدري عاريا للصاعقة

وها هو الشاعر يعود وفي فمه بشارة  
يقول ما يقول :  
بظفرة تحس ما في رحم الفصل  
نراه قبل ان يولد في الفصول  
بشارة لاولئك الذين يقول عنهم فسي  
قصيدة ( حب وجلجلة ) :  
من لولاهم ما كان لي  
بعث ، حين وتمني  
ويقول عنهم في هذه القصيدة :  
ما كان لي ان احتفي  
بالشمس لو لم اركم تقتسلون  
الصبح في النيل وفي الاردن والفرات  
من دمفة الخطيئة  
والان نتساءل :  
ماذا حكى الشمال  
للبر والسدود  
لريشة تجود التموه تخفي  
الشح في افنية العبارة ؟

وهل كان تفاؤلا ساذجا ذلك الذي فتح عين  
الشاعر على اشراق الانبعاث ؟ وقصائد «بيادر  
الجوع» هي المحاولة على اجابة هذا السؤال،  
انها اختبار لامكانيات التفاؤل ومعاناة لها .

لم يحك الشلال كل شيء فها هي البشارة  
تضطرب في الصدور ولا يأتي الانبعاث وكيف  
يأتي الانبعاث وفي طبيعته - كما يقول تقديم  
لعازر عام ١٩٦٢ - ان يكون تفجرا من اعماق  
الذات ؟ ان سؤال ( عودة الى سدوم ) ( هل  
تعود المعجزات ؟ ) لا يجعلنا نلتصمها ابعد من  
خاتم شهرزاد الذي ينبثق من غيب حزين فهل

كان جنونا ما جعلنا ننتظر بشارة المعجزات:  
وربما توجك الجنون  
اهدي اليك خاتما  
يطوح الغيب لما تريد  
يستنبت الياقوت والمرجان  
من اودية الصوان والحديد

هذه كلمات ( عند البصارة ) وفي قصيدة  
( الكهف ) اولى قصائد ديوان بيارد الجوع  
يقتلنا ملل الانتظار :  
وعرفت كيف تمط ارجلها الدقائق  
كيف تجمد ، تستحيل الى عصور  
ويعادونا الرعب :  
عابت رعب زوارق  
تهوي مكسرة الصدى ،  
عبنا يدوي عبر اقبتي الصدى  
غب السحاب البحر  
يرسب في دمي  
سمك موت  
بعض اثمار معفنة ، قشور

لقد انمحت الرؤيا المشرقة وها نحن وجها  
لوجه امام حاضرا ومصيرنا :  
عيناى سمرتا على افق  
الحديد بلا جفون  
واخاف من كبريت صاعقة  
يفجر فيهما ضحك الجنون  
و :  
ماذا سوى كهف يجوع ، فم يبور  
ويد مجوفة تخط وتمسح  
الخط المجوف في فتور ؟ -  
هذه المغارب لا تدور ،  
رباه كيف تمط ارجلها الدقائق  
كيف تجمد ، تستحيل الى عصور  
انه ليس الياس ولكنه السام ومعاناة  
الانتظار . ليس هنا شيء عن ( كل ما عرفه  
اني اموت ) ولكنه اختبار لامكانات القيام من  
الموت .

وفي قصيدة ( جنية الشاطيء ) معاناة  
لاستحالة التطهر ، لقد حفرت القرون دمقتها  
السوداء على وجه البراءة ، واذا كان الانيمات  
الحقيقي يتطلب تطهرا حقيقيا تعود الحياة  
بعده الى براءتها الاولى ، فقبار النهور لا  
تنفضه المعجزات وفي قصيدة ( الناي والريح )  
تأملنا الريح الفضوب تمسح ما نحجر - من  
سياجات غنيقة - ويعود ما كانت عليه التربة  
السمرء في بدء الخليفة - بكرى لاول مرة  
تشهى - بحضن الشمس ) فاننا هنا في معاناة  
استحالة ذلك ، ان السياجات العشر تحيط  
بجنيتنا و ( جسد اللعينة لا يظهره العماد )  
وفي الصراع الناجم عن هذا الحال تستحيل  
جنية الشاطيء البريئة ( حلوة الحي ) الى  
( شمطاء تنبس في المزابيل - عن قشور  
البرتقال ويحل بها الياس بله الجنون .

نتنقل الان الى القصيدة الاخيرة في ديوان  
بيادر الجوع وهي قصيدة ( لعازر عام 1962 )  
هذه القصيدة الرائعة الخصبية القادرة على  
بلوغ اعماق من الحزن بعيدة النور . يذكر  
القارئ ذلك الانسان القائل ( كل ما عرفه  
اني اموت ) ويعرف الصعوبة التي تبلغ  
درجة الاستحالة في ان يقوم ويقف على  
قدميه ، يثيق انعمائه من اعماق ذاته . ان  
ضربة الساحر توقفته هنا رغما عنه وهذا هو  
يسوع يصرخ فيه بصوت عظيم ( لعازر هلم  
خارجا ) ( فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات  
يسوع حلوه ودعوه يذهب ) . وماذا ينتظر  
باقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم  
من ميت حجره شهوة الموت تبعثه عناية  
الناصري رغما عنه ؟ اننا نلتقي به في هذه  
القصيدة في الاقسام الثلاثة الاولى لانذا  
برقاده اللذيد الذي لا يزعجه السم الفصل  
ينمى ان يستمر رفاقه ويمعن فيه الى ما لا  
حد :

عق الحفرة يا حفار ،  
عمقها لقاع لا قرار  
يرتمي خلف مدار الشمس  
ليلا من رماد  
يخاف من كل اسباب الحياة :  
اه لا تلق على جسمي  
ترابا احمرآ حيا طري  
ويمعن في ظلم الموت الذي سلب منه :  
لف جسمي ، لفه ، حنطه ، واطمره  
بكلس مالح، صخر من الكبريت، فحم حجري  
وكيف يحييه الناصري ( لجلو - عتمة  
غصت بها اختي الحزينة ) والرؤيا اللعينة  
لما نزل عيناه ( سمرتا عليها ) :  
لم يزل ما كان من قبل وكان  
لم يزل ما كان  
برق فوق رأسي يتلوى افعوان  
شارع تعبره الفول  
قطعان الكهوف المعتمة  
مارد حطم وجه الشمس  
عرى زهوها عن جمجمه  
عتمة تنزف من وجه الثمار ،  
الجماهير التي يملكها دولاب نار  
من انا حتى ارد النار عنها والدوار

هذا ما يقوله من عرض صدره عاريا فسي  
سبيل الجمهير ( من لولاهم ما كان لي -  
بعث ، حنين وتمني ) ثم نلتقي بزوجة لعازر  
التي هي حلوة الحي ( ترى من مط بُديها  
الى البطن - والوى انفها متقار بومة ؟ ) وهي  
بلك البقي ( انت يا موطوءة النهدين - يسا  
نفس السكارى ) وهي تلك التي تمت لو انها  
ما زالت في الشارع تصطاد الدباب وهي  
( بنتهم تستمرىء الناب الذي يفرض - فسي  
البض الحرير - وليكن ناب خصي - ان يكن

ناب امير ) وهي اخيرا جنية الشاطيء ( جسد  
اللعينة لن يظهره العماد ) وكل هذا التاريخ  
البعث يقف جسرا حائلا بينها وبين زوجها  
وعائقا عظيما دون تفاعلها ( وفي عيني عار  
امراة - انت ، تمزت لغريب ) وهي تعاني ان  
( جسد اللعينة لن يظهره العماد ) لقد قال  
الشاعر اجاثون في القديم ( شيء واحد لا  
يملك الله ذاته القوة على فعله ، ان يجعل  
كان لم يكن شيئا كان بالفعل ) ويبلغ بها  
الياس حدا مدمرا :

غيبني وامسحي ظلي  
وانار نعالى  
يالبايى الثلج ، فيضي يا لبايى ،  
امسحي ظلي انا الاثى -  
امسحي الخصب الذي ينبت  
في السنبل اضراس الجراد  
جاعت الارض الى شلال ادغال  
من الفرسان ، فرسان المغول  
هيكل يركع في النار  
تثن الكتب الصفراء تنحل دخانا  
في هداءات الخيول  
انه سم الانتحار وما حدث لن ينمحي ابدا  
والصلاة لا تجدي فلن يتمشى الاله القمري  
في جروح المريمات ليمسحها :  
الحواس الخمس فوهات مجامر  
تشتهي طم الدواهي والخراب  
تشتهي طم دمي  
طمع التراب  
ينطوي جسمي على جسمي  
ويلتف دوائر  
ثم ينحل لاجسام  
تمحيها وتبنيها الظنون : -  
انطوي في حفرتي  
افعى غنيقة  
تنسج القمصان  
من ابخرة الكبريت ، من وهج النيوب  
لحبيب عاد من حفرته  
ميتا كئيب  
لحبيب ينزف الكبريت  
مشجود اللهب .

ماذا اقول ؟ هل اقول انها قصيدة حزينة  
وليست يائسة ؟ هي في الحقيقة ليست  
القصيدة الساذجة التي تتفاعل او تنشاءم  
وهي تحتوي على كل هذه الامكانات وتمري  
تناقضات حياتنا ( وكيف اصبحنا عدوين -  
وجسم واحد يضمنا ، نفاق ) والقصيدة نملانا  
بالحزن العميق الذي يعانيه الشاعر وهو -  
يواجه مرارة واقصنا بعد ان يلقي بعيدا بخاتم  
شهرزاد الذي يخلق جنات من الاوهام لا  
سبيل اليها .

القاهرة خليل سليمان كلفت